يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٨ — ٢٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠)

الدعوة وطريقها وآدابها

مكانة الدعوة . خيبة الدعاة المسلمين . مدعو المهدوية . السنوسي ونجاحه . مهدي الهند . طريقة الدعوة . الحكمة للخواص والموعظة للعوام . المسلمات والشعريات والخطابة . غير المحق لا تتم دعوته في هذا العصر . معرفة لغات المدعوين . اخلاقهم وعاداتهم . تقاليدهم وعلومهم . استلفات النظر . التلطف والرفق . اقناع الداعي بما يدعو اليه . الصبر وسعة الصدر . الرجاء واليأس . الشواهد القرآنية على هذه الصفات . تمسك دعاة النصرانية بها من دون المسلمين . اقتراح على مشيخة الازهر

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

علمنا الله تعالى في القرآن ان طريقة رسله في نشر الدين انما هي الدعوة اليه وعلمنا بسننه في شؤون الأنسان الاجتماعية ان هذه الطريقة هي الطريقة المثلى لنشر المذاهب والأديان لا يضل سالكها عن مقصده مهما عرف منارها واعلامها . وراعى آدابها واحكامها . وسدد الى الاغراض سهامها .

نخاطب العقل بالبرهان . وحرك سواكن الوجدان . وأشرف على النفوس من شرفات التأثير . وبصّرها بحسن العاقبة أو سوء المصير .

بينا فى المقالة التى نشرت فى الجزء الماضى أن الاديان والمذاهب لا تنتشر الا بالدعوة ولا تطوى الا بتركها وان الشرط فى انتشارها هو كون الدعوة صحيحة لا كونها هى صحيحة فى نفسها ولا بد من بيان شروط الدعوة وآدابها خدمة لمن يوفقه الله تعالى من فضلاء المسلمين وعلمائهم واهل الغيرة والحمية منهم لاقامة هذا الركن الاعظم . والقيام بهذا الفرض الاجتماعى المحتم . والتصدى لارشاد هؤلاء الملايين الذين يتشدقون بكلمة (الاسلام) ولا يعلمون مسماها . ويتمسكون بلفظها ولا يفقهون حقيقة معناها . فقد قام فيهم دعاة يهتفون باسم المهدية . ومرشدون يدعون سلوك الطريقة الصوفية . ولكنّ أحداً منهم لم يرع الدعوة حق رعايتها . ويقف من الطريقة على جادتها . فطاشت سهامهم . وخسرت ايامهم . وزادوا شمل الامة تفريقاً . واديم الدين تمزيقاً . على ان منهم من دعا الى حق ولكن بغير حكمة . ولا مراعاة لما تقتضيه سياسة الامة . وامر بمعروف ولكن على غير المنهج المعروف . ونهى عن منكر ولكن على غير الوجه المألوف . ولم تنجح دعوة اسلامية مع الثبات الا دعوة السنوسى فى ادنى المغرب الاسلامى والظاهر انها دعوة اجتماع لا دعوة اصلاح وسبب نجاحها شخص الداعى وشخص خليفته القائم الآن من حيث هما شيخان صوفيان وصالحان مرشدان ولعلها لا تخلو من مبادئ اصلاح وليس من موضوعنا الآن البحث فيما يجب ان يدعى اليه المسلمون من القيام بحقيقة الدين على الوجه الذى يؤدى الى سعادة الدنيا بحسب سنن المدنية الحاضرة

والمستقبلة والى سعادة الآخرة فنخوض فى الطريقة السنوسية هل هى كافية لذلك ام لا واعما كلامنا فى الدعوة نفسها ونجاح هذه الطريقة ظاهره انه من قبيل نجاح طرائق التصوف الاخرى وعسى ان تكون لها قواعد ثابتة لا تتداعى بموت الداعى ولا تتزلزل بزواله . وفى الهند قائم يدعى المهدوية التى هى امنية عامة المسلمين فى تجديد دينهم واعزازه ويظهر انه قد أحسن الدعوة لان متبعيه الآن يزيدون على مائة الف وقد اهتدى بهم خلائق من الوثنيين الى الاسلام وهو الآفة الكبرى على دعاة النصرانية هنالك يناظرهم فى المجامع والشوارع فيبكتهم ويسكتهم واننا نستشف من وراء الحجب التى بيننا وبينه ان دعوته لا تروج عند خاصة المؤمنين الذين وقفوا على العلوم والفنون وعرفوا طبيعة العمران واصول الاجتماع البشري ولا يرجى ان تكون عامة . وقد بينا من قبل ان من اسباب ثبات الدعوة وانتشارها وغلبتها على مايعارضها كونها حقاً فى نفسها ومستوفية للشروط التى نقصها عليك الآن فاسمع لما يتلى

علمتنا الآية الكريمة التى افتتحنا بها هذه المقالة ان للدعوة طريقتين : الحكمة والموعظة الحسنة . فأما الحكمة فهي لخطاب العقل بالبرهان واما الموعظة فهي لتأثير فى النفس بخاطبة الوجدان . فالأولى للخواص والثانية للعوام والمقصد واحد . ولا يحتاج الى الطريقتين الا من يدعو الى حق موافق لمصلحة الناس الحقيقية ولذلك قام أكثر الدعاة فى العالم على الطريقة الثانية ووقفوا على منبر الخطابة ابتغاء اقناع النفوس بالمسلمات وجذبهم بزمام الوجدان حيث السلطان الأعلى للقياسات الخطابية والشعرية . لا للحجج البرهانية . واذا نجح هؤلاء فى كل عصر مضى فلا يدوم نجاحهم فى هذا

العصر لأن العلم الحقيقي الرائجة سوقه فيه خصم لهم وهو الخصم الذى لا يغالب . والقرم الذى لا يبارز . والقرن الذى لا يناهز . والناطق الذى لا تدحض حجته . والسالك الذى لا تنطمس محجته .

ذكر الله الطريقتين ثم ذكر كيفية السلوك فيهما . والسير عليهما . وهى المجادلة بالتي هى احسن . الهادية للتى هى اقوم . ويشترط فى هذه المجادلة بل وفى اصل الدعوة شروط :

(احدها) العلم بلغة من يراد دعوتهم ومجادلتهم ولهذا ترى دعاة النصرانية يتعلمون جميع اللغات وينقلون اليها كتبهم الدينية واما رجال الدين من المسلمين فيرون فى تعلم اللغات اعراضاً عن الدين الذى لا وظيفة لهم الا القيام بحفظه ونصرته . ونشره وتعميم دعوته . وقد علمنا ان الداعي الذى فى الهند عارف باللغات المنتشرة هنالك كالأوردية والفارسية والانكليزية كما هو عارف بالعربية . والشاهد لهذا الشرط من الكتاب العزيز قوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »

(ثانيها) العلم باخلاق الناس وعاداتهم . ومواقع اهوائهم ورغباتهم . ليخاطبهم بما يعقلون . ويجادلهم بما يفهمون . واكثر المشتغلين عندنا بعلم الدين يرون البحث فى الاخلاق والعادات . من تضييع الأوقات . والتنقيب عن شؤن الدهماء . لا يليق بمقام العلماء ! ! !

(ثالثها) الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية . والعلوم والفنون الدنيوية . ما يتعلق منها بالدعوة . ويصلح ان يكون شبهة . ومن جهل هذا القدر كان عاجزاً عن ازالة الشبهات . وحل عقد المشكلات . ومن فاته هذا الشرط وما قبله لا يقدر ان يخاطب الناس على قدر العقول

والاحلام . كما كان شأن سادة الدعاة الى الله عليهم الصلاة والسلام . ولقد علم رؤساء الديانة النصرانية ان ما كان من جهلهم بالعلوم الكونية ومعاداتهم لها . وتحكيمهم الدين فيها . مؤذن باضمحلالها . ومفض الى زوالها . فأخذوا بزمامها . وقادوها بخطامها . وقربوا بين عالمي الملك والملكوت . وقرنوا بين علمي الناسوت واللاهوت . وبهذا امكنهم حفظ حرمة الدين . واعلاء كلمته بين العالمين . وديننا هو الذى ربط بين العالمين ولكننا نقطع الروابط . وجمع بين العلمين ولكننا نهدم الجوامع . ولهذا جهلنا وتعلموا . وسكتنا وتكلموا . وتأخرنا وتقدموا . ونقصنا وزادوا . واستُبدنا وسادوا

(رابعها) القاء الدعوة بصوت ينبه العقول والفكر . وصيحة تستلفتها الى البحث والنظر . وتشوق النفوس الى غايتها . وتخيفها من مغبة مخالفتها . وهذا الشرط قد نطق به المتكلمون ونص بعضهم على ان من لم تبلغه الدعوة على وجه يستلفت الى النظر يكون معذوراً اذا بقى على كفره . ولا يمكن تحديد هذا الشرط الا ببيان ما يدعى اليه الداعون . ويرشد اليه المصلحون . ومن نظر فى تاريخ الملل . واخبار دعاة المذاهب والنحل . يعلم انه لم ينشر مذهب ولا دين . الا وكان هذا الشرط ركنه الركين . ومن شواهده فى القرآن العزيز قوله تعالى «وقل لهم فى انفسهم قولاً بليغاً »

(خامسها) التلطف فى القول . والرفق فى المعاملة . وهذا اوّل ما يتبادر الى الفهم من قوله تعالى « وجادلهم بالتي هي أحسن » والقرآن يبين هذا فى مواطن كثيرة وآيات متعددة . اقرأ ان شئت قوله عز وجل «وإنا أو اياكم لعلى هدًى او فى ضلال مبين . قل لا تُسألون عما أجرمنا

ولا نُسأل عما تعملون » فما بعد هذا التلطف فجٍ يُسار فيه . ولا وراء هذا الرفق غاية ينتهى اليها . والسر فيه ان النفوس جبلت على حب الكرامة . وتربّت فى الغالب على الرعونة . ونشأت على التقيّد بالعادة . فمن رام الخروج بها عن عادها . وصرفها عن غيها الى رشادها . ولم يمزج مرارة الحق . بحلاوة الرفق . ولم يصقل خشونة التكليف . بصقال القول اللين اللطيف . كان الى الانقطاع اقرب منه الى الوصول . ودعوته اجدر بالرفض من القبول . وان اردت الدليل الصريح من القرآن . على تأييد هذا البيان . فتأمل قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام . « فقولا لهُ قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى » فهو ينبئك بأن لين القول محل رجاء التذكر . والمعدُّ للنفوس للخشية والتبصر .

ومن هنا تفهم السر فى حماية الانبياء عليهم السلام من العاهات المنفرة . وجعلهم اكمل الناس آدابًا واخلاقًا . « ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفضُّوا من حولك » . وقد اهتدى لهذا دعاة المذاهب الناجحة . والاديان المنتشرة . حتى ان دعاة النصرانية فى الصين . يلبسون لباس البوذيين . ويحملون اصنامهم . او يبيعونها منهم . توسلاً الى عقيدة يلقونها . وتوصلاً الى كلمة يقولونها . او نفثة يغثونها . غلوًّا بازاء غلوّ . وضعة فى مقابلة كبر وعتوّ . فان الصينيين يغلون فى الدين . ويحتقرون من دونهم من العالمين . وكأين من داع أفسد العنف دعوته . وأسفل كلمته . اولئك الذين فرقوا الدين الواحد بالخلاف . وألقوا العداوة بين الاخوة بقلة الانصاف .

(سادسها) تلبس القائم بالدعوة بما يدعو اليه بأن يكون موقنًا او

مقتنعاً به ان كان اعتقاداً ومتخلقاً به ان كان خلقاً وعاملاً به ان كان من الاعمال . فمن لم يكن موقناً ولا مقتنعاً فقلما يقدر على اقناع غيره لان فاقد الشيء لا يعطيه . ومن حث على التحلي بفضيلة وهو عاطل منها . او أمر بالتزكي من رذيلة هو متلوث بها . لا يقابل قوله الا بالردّ . ولا يعامل الا بالاعراض والصد . وينشده لسان الحال . اذا سكت لسان المقال :

يا ايها الرجل المعلم غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي العنا ... كيما يصح به وانت سقيم
وتراك تجذب بالرشاد نفوسنا ... ابداً وانت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك ينفع ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

وما كان من الدعوة متعلقاً بالاخلاق والاعمال فهو تربية والتربية النافعة انما تكون بالفعل لانها مبنية على القدوة وحسن الاسوة . لا بمجرد القول . ألم يبلغك حديث الحلق فى الحديبية وكيف لم يمتثل الصحابة عليهم الرضوان امر النبي صلى الله عليه وسلم به حتى حلق هو فاقتدوا بفعله اجمعين ومن هنا تفهم السر فى عصمة الانبياء عليهم السلام

(سابعها) الصبر . وسعة الصدر . فمن استعجل الشيء قبل اوانه . عوقب بحرمانه . ومن ضاق صدره ملّ . والملل آفة العمل . وقد جعلنا هذين شرطاً واحداً لتلازمهما وجوداً وعدماً . وحسبك من دليل اشتراطهما فى الكتاب قوله تعالى « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » وقوله عز وجل « فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به » وقوله تبارك اسمه « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث

أسفاً » ولا يختص الصبر بعدم استعجال الفائدة قبل وقتها بل الصبر على الايذاء الذي يبتلى به الدعاة دائماً آكد وألزم . وفضله اكبر واعظم . وهو الذي جعله الله تعالى دليل الايمان والميز لاهله عن المنافقين « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » .

ولم يعرَ دعاة النصرانية من هذه المزية السامية والمنقبة الشريفة فان الجرائد والبرقيات تحدثنا آناً بعد آن بما يقاسون من الاهانة والايذاء . والمشقة والبلاء . لاسيما في احشاء افريقيا والصين . ولكن علماءنا يشترطون أن يكافؤا على الدعوة بالتعظيم . والأجر العاجل الكريم . وأن يكفل لهم كافل بأنهم يقابلون بالقبول . وحصول المأمول . حتى ان منهم من كتب ذلك في جريدة . وصرح بأنه مبني على اصول العقيدة

ومما يحسن ذكره ههنا ما بلغني من كيفية امتحان الدعاة واليك حديث امتحان منهاء درس بعض المستعدين للدعوة علم اللاهوت والعلوم الاجتماعية والتهذيبية والرياضية والطبيعية واخذ الشهادات بها ثم طلب امتحان الدعوة من احدى الجمعيات الدينية فاحالته الجمعية على رجل في بلد غير الذي هو فيه فلما جاءه استأذن عليه معرفاً له بقصده فأجابه خادمه أن انتظره ساعة في هذا المكان من بيته فمرت الساعة واليوم وخرج الرجل من البيت وعاد اليه ولم يقابله فلما كان اليوم الثاني دخل عليه بعد الظهر وقال له أطلت عليك واظنك قد جعت فهل تأكل معي فقال نعم فحضر الطعام واكلا وبعد الاكل كتب له الشهادة من غير أن يسأله عن شيء وانما كتب حكايته معه وقال انه اكل معي من غير انفعال ولا تأثر ولم ار على وجهه شيئاً من ملامح الامتعاض لسوء المعاملة التي عاملته بها فليقبل .

(ثامنها) الأمل بالنجاح . والرجاء بالفلاح . مهما عظمت المصاعب . وانتابت النوائب . فان اليأس أدوأ الادواء . الذي لا ينجع مع وجوده دواء . وناهيك ان القرآن جمعه مع الكفر في قرن . وجعله مع الضلال في كفن . والآيات في هذا طوافة في الاذهان . فائضة على كل لسان . واذكر من تلبس دعاة النصرانية بهذا الشرط ما كنت قرأته في جريدة لهم قالت ما مثاله : ان اول بعثة ارسلت الى الصين بعد الاستعداد بتعلم اللغة الصينية وطبع الكتاب المقدس بها مكثت بضع سنين (وأظنها حددته بثمان) لم يجب دعوتها احد فاستأذنت من الجمعية الكبرى بمغادرة الصين لليأس من تنصر احد من اهله فاجابتهم الجمعية بانكم لم ترسلوا لتنصير الناس او الزامهم بالنصرانية فترجموا العدم حصول المقصود وانما وظيفتكم الدعوة الى آخر الحياة سواء اجابكم الناس ام لم يجيبوكم فثبتوا حتى صار الناس يدخلون في دينهم بالتدريج . وانما هدى هؤلاء للقيام بهذا الشرط كغيره الصدق في خدمة دينهم والحرص على نشره وقد فقدنا نحن هذا من عهد بعيد فصرنا نقرأ القرآن (الذي لم يغادر شرطاً من شروط الدعوة الا بينه) للتبرك وشفاء الامراض الجسدية او للطرب في الافراح وهم الذين قاموا بالعمل به . هل تفكرت يا اخي المسلم بقوله تعالى « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله « وما انت عليهم بوكيل » وقوله « نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ؟ وهل اطلت الفكرة يا اخي فيمن قام بحقوق هذه الآيات وامثالها ام تكتفي عند قراءتها وسماعها بقول (الله الله) سبحان من هذا كلامه كما تلقيت عن عامة الناس ؟؟؟

هذا ما عن لنا الآن من مهمات شروط الدعوة وآدابها فاذا اقترحنا على فضيلة شيخ الجامع الازهر أن ينتخب بمساعدة مجلس ادارته طائفة من نجباء المجاورين للاستعداد للدعوة والقيام بشروطها وآدابها هل ينظر فى اقتراحنا ويجيب طلبنا ؟؟ ام يقول ان هذا ليس من وظيفة الازهر ؟؟ واذا فرضنا ان شيخ الجامع الازهر لم يلتفت لهذا الطلب ولم يصغ لهذا الاقتراح وهو الملقب بشيخ الاسلام فهل نطلبه من المستر دنلوب سكرتير المعارف فى مصر والقابض على أزمة المدارس ؟؟ اجيبونا يا اولى الالباب . ولكم الاجر والثواب . والا فلنا يجب قبل كل شىء دعوة المسلمين الى الاسلام حتى اذا قبلها الكثيرون يوجد من يغار على الدين ويقوم بحقوقه ويسعى فى اعلاء كلمته . وتعميم هدايته . وهذه هى الدعوة التى لا يمكن شرحها فى الجرائد وانما توكل الى عمل العاملين . وسعي المصلحين . والله ولى المتقين .

باب التوسع فى التعليم

﴿ أمالي دينية — الدرس الرابع عشر ﴾

«القضاء والقدر»

م (٤٠) شأن هذه العقيدة — هذه المسئلة من توابع البحث فى العلم والارادة وهي الفتنة التى ابتليت بها الامم فوقعوا فى بحار الحيرة تدافعهم أمواج الشكوك ويتلقاهم آذيُّ الشبهات (اى موجها) حتى غرق فيها اكثر الخائضين ونجا الاقلون . ومن عجيب امرها ان العامة اعلم بها من اكثر الخاصة . وان الأميين اقرب الى اليقين بها من الكاتبين . وان